

الشمعدانُ الحديديُّ

الشَّعْدَانُ الْحَدِيدِيُّ

(١) فِي مَدِينَةِ «الْبَصْرَةِ»

الشَّيْخُ «أَبُو النَّضْرِ» رَجُلٌ رَحَالَةٌ، طَافَ بِبِلَادٍ كَثِيرَةٍ مُتَبَاعِدَةٍ. لَا يَكَادُ يَعُودُ يَوْمًا مِنْ سَفَرٍ، حَتَّى يُعَدَّ الْعُدَّةَ لِسَفَرٍ جَدِيدٍ. اسْتَفَادَ مِنْ رِحَالَتِهِ الْمُتَوَالِيَةِ خُبْرَةً وَاسِعَةً بِالْحَيَاةِ وَبِالنَّاسِ. اسْتَمَرَ عَلَى ذَلِكَ مُنْذُ شَبَابِهِ حَتَّى بَلَغَ عُمُرُهُ السَّبْعِينَ.

فِي آخِرِ رِحْلَةٍ لَهُ سَاقَتْهُ قَدُمُهُ إِلَى مَدِينَةِ «الْبَصْرَةِ». كَانَ قَدْ زَارَهَا مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ، وَاشْتَقَ أَنْ يَزُورَهَا مِنْ جَدِيدٍ. عَرَفَ فِيهَا، أَثْنَاءَ زِيَارَتِهِ، بَعْضَ التُّجَّارِ، وَأَصْبَحَ لَهُ أَصْحَابٌ. لَمَّا بَلَغَ مَدِينَةَ «الْبَصْرَةِ» فَاجَأَهُ هُنَاكَ مَرَضٌ أَلَزَمَهُ الْفِرَاشَ. وَجَدَ أَنَّهُ مُحْتَاجٌ أَشَدَّ الْإِحْتِيَاجِ، فِي مَرَضِهِ، إِلَى مَنْ يَخْدُمُهُ. قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَصْحَابِي فِي مَدِينَةِ «الْبَصْرَةِ» مَنْ يُعِينُونِي». جَعَلَ يَسْتَعْرِضُ أَسْمَاءَ أَصْحَابِهِ، لِيَخْتَارَ مِنْهُمْ مَنْ يَثِقُ بِهِ.

وَقَعَ اخْتِيَارُهُ عَلَى صَدِيقٍ لَهُ، اسْمُهُ الشَّيْخُ «أَبُو الْيُسْرِ». لَقَدْ عَرَفَ فِي صَدِيقِهِ هَذَا كَرَمَ الصُّحْبَةِ، وَصَدْقَ الْمَوَدَّةِ. أَرْسَلَ إِلَيْهِ بِرِسَالَةٍ، يُخْبِرُهُ بِحَالِهِ، وَيَطْلُبُ مَجِئَهُ إِلَيْهِ. الْمُرْسَالُ أَخَذَ يَسْتَدِلُّ عَلَى الشَّيْخِ «أَبِي الْيُسْرِ»، فَعَرَفَ مَكَانَهُ.

(٢) فِي بَيْتِ «أَبِي الْيُسْرِ»

الْمُرْسَالُ بَحَثَ عَنِ بَيْتِ الشَّيْخِ «أَبِي الْيُسْرِ»، وَاهْتَدَى إِلَيْهِ. وَصَلَ إِلَى الْبَيْتِ، وَطَلَبَ مُقَابَلَةَ صَاحِبِهِ، لَكِنِّي يَبْلُغُهُ الرِّسَالَةَ. لَمْ يَكُنْ فِي الْبَيْتِ إِلَّا «سَلْمَى» زَوْجَةُ الشَّيْخِ «أَبِي الْيُسْرِ». الزَّوْجَةُ قَالَتْ: «مَاذَا تُرِيدُ مِنْهُ أَيُّهَا الطَّارِقُ الْكَرِيمُ؟»

الشَّمْعَدَانُ الْحَدِيدِيُّ

المِرْسَالُ قَالَ: «أُرِيدُ أَنْ أَدْعُوهُ إِلَى أَنْ يَزُورَ صَدِيقًا لَهُ.»
الرَّوَجَةُ قَالَتْ: «تَعِيشُ أَنْتَ! تُوَفِّي زَوْجِي مُنْذُ سَنَةٍ كَامِلَةٍ.»
المِرْسَالُ عَبَّرَ عَنْ أَسْفِهِ، وَقَدَّمَ تَعَزُّبَتَهُ إِلَى «سَلْمَى»، وَقَالَ لَهَا: «سَأَنْقُلُ هَذَا الْخَبَرَ
الْمُخْرَجَ إِلَى صَدِيقِهِ، الَّذِي أَرْسَلَنِي إِلَيْهِ.»
«سَلْمَى» سَأَلَتْ: «مَنْ هَذَا الصَّدِيقُ الَّذِي أَرْسَلَكِ إِلَيْنَا؟»
المِرْسَالُ أَجَابَ: «هُوَ الشَّيْخُ «أَبُو النَّضْرِ» الرَّجُلُ الرَّحَالَةُ.»
«سَلْمَى» قَالَتْ: «أَنَا أَدْكُرُهُ؛ كَانَ يَزُورُنَا كُلَّمَا مَرَّ بِ«الْبَصْرَةِ».»
المِرْسَالُ أَوْضَحَ أَنَّهُ يُعَانِي مَرَضًا شَدِيدًا، وَأَنَّهُ طَرِيحُ الْفِرَاشِ.
«سَلْمَى» أَضَافَتْ: «مَنْ حَقَّ عَلَيْنَا أَنْ نَهْتَمَّ بِهِ. هَذَا وَاجِبُنَا نَحْوَهُ. اتْرُكْ لِي عُثْوَانَةَ،
وَسَأُرْسِلُ إِلَيْهِ وَوَلَدِي «رِضْوَانَ» حِينَ يَحْضُرُ. ارْجِعْ إِلَيْهِ، وَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَأَخْبِرْهُ بِمَا أَعْلَمْتُكَ
بِهِ مِنَ الْأَمْرِ.»

(٣) رِعَايَةُ الْمَرِيضِ

الْفَتَى «رِضْوَانُ» لَمَّا حَضَرَ، أَخْبَرَتْهُ أُمُّهُ بِزِيَارَةِ الْمِرْسَالِ.
بَعَثَتْ بِهِ إِلَى الشَّيْخِ «أَبِي النَّضْرِ»، لِيَعْرِفَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ.
الشَّيْخُ «أَبُو النَّضْرِ» اسْتَقْبَلَ الْفَتَى «رِضْوَانَ»، وَرَحَّبَ بِهِ. عَرَّاهُ عَنْ أَبِيهِ الْفَقِيدِ، وَقَالَ:
«فِيكَ الْعَوْضُ عَنْهُ يَا وَدَيِّ. أَسْأَلُ اللَّهَ، سُبْحَانَهُ، أَنْ يُطِيلَ عَمْرَكَ، وَعَمْرَ وَالِدَتِكَ الْحَنُونِ.»
الْفَتَى «رِضْوَانُ» اسْتَفْسَرَ مِنَ الشَّيْخِ «أَبِي النَّضْرِ» قَائِلًا: «أَخْبِرْنِي: مَاذَا نَسْتَطِيعُ أَنْ
نَقْدِمَهُ لَكَ مِنْ عَوْنٍ يَا عَمِّي؟» الشَّيْخُ «أَبُو النَّضْرِ» شَكَرَ لَهُ سُؤَالَهُ، وَلَمْ يَطْلُبْ شَيْئًا مِنْهُ.
الْفَتَى «رِضْوَانُ» أَنْهَى زِيَارَتَهُ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أُمِّهِ، وَقَالَ لَهَا: «الشَّيْخُ «أَبُو النَّضْرِ» فَرِحَ
بِزِيَارَتِي لَهُ، وَدَعَا لَكَ وَوَلِيِّ.»
الْأُمُّ «سَلْمَى» أَقْبَلَتْ عَلَى وَوَلَدِهَا «رِضْوَانَ»، فِي حُنُوٍّ، وَقَالَتْ: «أَنْتَ فِي مَكَانِ أَبِيكَ، تَعْمَلُ
عَمَلَهُ، فَعَلَيْكَ رِعَايَةُ صَدِيقِهِ.»
الْأُمُّ «سَلْمَى» كَلَّفَتْ وَوَلَدَهَا أَنْ يُتَابِعَ زِيَارَةَ الْمَرِيضِ. كَانَتْ تَبْعَثُ إِلَيْهِ، مَعَ وَوَلَدِهَا، بِمَا
يَصْلُحُ مِنْ طَعَامٍ وَدَوَاءٍ.

السَّيِّخُ «أَبُو النَّضْرِ» كَانَ يَتَلَقَّى هَذِهِ الرَّعَايَةَ الْكَرِيمَةَ بِامْتِنَانٍ.

(٤) مُكَافَأَةُ الْمَعْرُوفِ

السَّيِّخُ «أَبُو النَّضْرِ» عَاجَلَهُ الشَّفَاءُ مِنْ مَرَضِهِ، وَتَرَكَ فِرَاشَهُ. فَكَرَّرَ فِي الْمَعْرُوفِ الَّذِي تَلَقَّاهُ مِنْ الْأُمِّ «سَلْمَى» وَوَلَدِهَا. لِذَلِكَ أَرَادَ أَنْ يُكَافِئَهُمَا عَلَى مَعْرُوفِهِمَا الَّذِي صَنَعَاهُ مَعَهُ. خَطَرَ بِبَالِهِ أَنْ يَنْوِبَ عَنِ الْأُمِّ فِي تَرْبِيَةِ وَلَدِهَا «رِضْوَانَ».

قَالَ فِي نَفْسِهِ: «أَبُوهُ كَانَتْ لَهُ مَنزِلَةٌ كَرِيمَةٌ عِنْدِي. أُمُّهُ أَكْرَمْتَنِي، وَأَسَدَتْ إِلَيَّ جَمِيلًا فِي مَرَضِي، لَا أَنْسَاهُ. أَنَا بِمَنْزِلَةِ عَمِّ الْفَتَى «رِضْوَانَ»؛ فَوَاجِبٌ عَلَيَّ أَنْ أَعْنَى بِهِ».

السَّيِّخُ «أَبُو النَّضْرِ» ذَهَبَ قَاصِدًا بَيْتَ السَّيِّخِ «أَبِي الْيُسْرِ». شَكَرَ الْأُمُّ عَلَى أَنَّهَا أَكْرَمَتْ صِدَاقَتَهُ لِرُؤُوجِهَا كُلِّ الْإِكْرَامِ. عَرَضَ عَلَيْهَا فِكْرَتَهُ فِي شَأْنِ قِيَامِهِ بِتَرْبِيَةِ وَلَدِهَا «رِضْوَانَ». قَالَ لَهَا: «فَتَاكِ الْعَزِيزُ سَيَكُونُ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ وَلَدِي. سَيَسَافِرُ «رِضْوَانَ» مَعِي فِي رِحْلَاتِي، مُدَّةَ عَامَيْنِ اثْنَيْنِ. سَأَتَوَلَّى تَرْبِيَتَهُ، وَتَعْرِيفَهُ بِشُئُونِ الْحَيَاةِ، وَأَحْوَالِ النَّاسِ. سَيَعُودُ وَقَدْ نَضَجَ عَقْلُهُ، وَاسْتَنَارَ فِكْرُهُ، وَكَمَلَتْ تَرْبِيَتُهُ».

اقتنعت «سَلْمَى» بِمَا عَرَضَهُ عَلَيْهَا الرَّحَالَةُ السَّيِّخُ «أَبُو النَّضْرِ».

(٥) «رِضْوَانُ» عَلَى سَفَرٍ

الْأُمُّ «سَلْمَى» وَدَعَتْ وَلَدَهَا «رِضْوَانَ»، وَدَعَتْ لَهُ بِالْحَيْرِ. تَمَنَّتْ لَهُ، وَهِيَ تُودِّعُهُ، سَفَرًا سَعِيدًا، وَعَوْدًا حَمِيدًا، بِإِذْنِ اللَّهِ.

بَدَأَ الْفَتَى «رِضْوَانُ» رِحْلَتَهُ، مَعَ الرَّحَالَةِ السَّيِّخِ «أَبِي النَّضْرِ». كَانَ يَتَنَقَّلُ مَعَهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، فِي الدُّنْيَا الْوَاسِعَةِ الْعَرِيشَةِ. لَمْ يَقْصِرِ السَّيِّخُ «أَبُو النَّضْرِ» فِي الْعِنَايَةِ بِالْفَتَى «رِضْوَانَ». بَدَلَ كُلِّ جُهْدِهِ مَعَهُ: فِي تَعْلِيمِهِ، وَتَهْذِيبِهِ، وَرِعَايَةِ صِحَّتِهِ.

«رِضْوَانُ» لَقِيَ الْكَثِيرَ مِنْ بَرِّ السَّيِّخِ «أَبِي النَّضْرِ» وَعَطْفِهِ. بِفَضْلِ صُحْبَتِهِ لَهُ وَإِشْرَافِهِ عَلَيْهِ اتَّسَعَتْ مَعَارِفُهُ وَمَعْلُومَاتُهُ. اِمْتَلَأَ قَلْبُ الْفَتَى عِرْفَانًا وَتَقْدِيرًا لِحَمِيلِ ذَلِكَ السَّيِّخِ الْكَرِيمِ. لَمْ يَمَلَّ لِسَانُهُ أَنْ يَنْطَلِقَ بِالتَّنَاءِ عَلَى مُرُوءَتِهِ وَنُبُلِهِ. السَّيِّخُ كَانَ يَقَاطِعُ «رِضْوَانَ»

إِذَا اسْتَرْسَلَ فِي شُكْرِهِ. كَانَ يَقُولُ لَهُ: «لَيْسَ هُنَاكَ مِنْ مُسَوِّغٍ لِلثَّنَاءِ عَلَيَّ الْآنَ. لَكَ هَذَا حِينَ أَنْجَزْتَ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَنْفَعُكَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، ذَلِكَ إِذَا تَهَيَّأْتَ لَكَ وَلِأَمِّكَ حَيَاةً سَعِيدَةً هَانِئَةً.»
الْفَتَى «رِضْوَانُ» قَالَ: «سَتَجِدُنِي شَاكِرًا إِيَّاكَ عَلَى الدَّوَامِ.»

(٦) عَهْدُ «أَبِي النَّضْرِ»

مَرَّتِ الْأَيَّامُ: يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، وَالشُّهُورُ: شَهْرًا بَعْدَ شَهْرٍ. انْتَهَى السَّفَرُ بِالشَّيْخِ وَالْفَتَى إِلَى صَحْرَاءَ بَعِيدَةٍ عَنِ الْعُمُرَانِ. جَلَسَ الشَّيْخُ وَالْفَتَى يَسْتَرِيحَانِ مِنْ عَنَاءِ السَّرِّ بَعْضَ الْوَقْتِ. مَا كَادَ الْجُلُوسُ يَسْتَقِرُّ بِهِمَا، حَتَّى قَالَ الشَّيْخُ لِلْفَتَى: «لَقَدْ طُفْتُ مَعِي بِمُخْتَلَفِ الْبِلَادِ، وَعَرَفْتُ صُنُوفَ النَّاسِ. لَقَدْ أَصْبَحْتَ الْآنَ أَهْلًا لِأَنَّ تَبْدَأَ خُطَّةَ عَمَلٍ جَدِيدَةٍ. أَنْ لِي أَنَا الْآخَرُ أَنْ أُحَقِّقَ مَا أُرِيدُهُ لَكَ مِنَ الْخَيْرِ.»

لِيَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَهْدٌ: أَنْ تَسْمَعَ نُصْحِي، وَتَفِي بَعْهْدِي!
الْفَتَى أَجَابَهُ: «سَتَجِدُنِي مُطِيعًا لِنُصْحِكَ، وَفِيًّا لِعَهْدِكَ.»
الشَّيْخُ قَالَ: «لَوْ صَحَّ قَوْلُكَ تَهَيَّأْتُ لَكَ — يَا بُنَيَّ — أَسْعَدُ حَيَاةٍ.»
الْفَتَى تَحَمَّسَ قَائِلًا: «ثِقْ يَا بُنَيَّ لَا أَعْصِي لَكَ أَيَّ أَمْرٍ.»
الشَّيْخُ نَبَّهَ بِقَوْلِهِ: «إِنَّكَ سَتَتَعَرَّضُ، يَا بُنَيَّ، لِتَجْرِبَةٍ خَطِيرَةٍ.»
الْفَتَى أَجَابَ: «إِنِّي مُسْتَعِدٌّ لِلْقِيَامِ بِأَيَّةِ تَجْرِبَةٍ كَانَتْ.»
الشَّيْخُ قَالَ: «مُزَاوَلَةُ هَذِهِ التَّجْرِبَةِ لَيْسَتْ بِالْأَمْرِ الْيَسِيرِ!»
الْفَتَى قَالَ: «أَنْتَ عَلَّمْتَنِي التَّغَلُّبَ عَلَى كُلِّ عَسِيرٍ!»

(٧) خُطَّةُ الْعَمَلِ

الشَّيْخُ أَبَانَ قَائِلًا: «سَأَتَلُو دَعَوَاتِي فَتَنْشُقُ أَمَامَنَا الْأَرْضَ. سَتَطَهَّرُ فِي الْأَرْضِ نَعْرَةً، تُؤَدِّي بِمَنْ يَدْخُلُ فِيهَا إِلَى كَنْزٍ. هَلْ تَأْنَسُ فِي نَفْسِكَ الشَّجَاعَةَ وَالْجُرْأَةَ وَتَبَاتَ الْقَلْبِ؟»
الْفَتَى أَجَابَ: «كَيْفَ يَجُوزُ لِي التَّرَدُّدُ فِي دُخُولِ الْكَنْزِ؟ إِنَّ الدُّخُولَ إِلَيْهِ، وَمَعْرِفَةَ مَا يَحْتَوِي عَلَيْهِ، فُرْصَةٌ الْعُمْرِ. ارْسَمْ لِي، يَا عَمِّي، خُطَّةَ الْعَمَلِ، حِينَ أَدْخُلُ إِلَى الْكَنْزِ.»

الشَّمْعَدَانُ الْحَدِيدِيُّ

السَّيِّحُ قَالَ: «إِنَّكَ سَتَقْدَمُ لِي خِدْمَةً جَلِيلَةً، لَا نَظِيرَ لَهَا. سَأُكَافِئُكَ عَلَى تَقْدِيمِهَا، أَيُّهَا الْفَتَى الْمَقْدَامُ، مُكَافَأَةً لَا تَحْلُمُ بِهَا. إِنْ يَسَّرْتَهَا أَنْتَ لِي عِشْتَ مَوْفُورَ الْغِنَى، طَوَّلَ الْحَيَاةَ. تَنْفِيدُكَ لِمَا أُرِيدُ أَمْتِحَانُ لِصِدْقِ نَيْتِكَ وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِكَ.»

الْفَتَى قَالَ: «أَبْنُ لِي مَا تَتَّعِبُهُ مِنِّي، وَسَأُنْفِذُهُ كَمَا تُرِيدُ.»

السَّيِّحُ أَوْضَحَ: «عَلَيْكَ بِالشَّمْعَدَانِ الْحَدِيدِيِّ»، وَإِحْضَارِهِ لِي سَتَجِدُهُ أَمَامَ عَيْنَيْكَ، فِي إِحْدَى حُجْرَاتِ الْكُنْزِ الْفَسِيحَةِ هُنَاكَ. إِيَّاكَ أَنْ تَطْمَعَ فِي شَيْءٍ يَقَعُ عَلَيْهِ نَظْرُكَ مِنْ نَفَائِسِ الْكُنْزِ! لَا تَمُدَّ يَدَكَ لِشَيْءٍ غَيْرِ «الشَّمْعَدَانِ الْحَدِيدِيِّ» الْمَطْلُوبِ!

(٨) دُخُولُ الْكُنْزِ

أَكَّدَ «رِضْوَانُ» لِلشَّيْخِ «أَبِي النَّضْرِ» أَنَّهُ لَنْ يُخَالِفَ نُصْحَهُ. أَوْفَدَ الشَّيْخُ أَعْوَادَ حَطَبٍ، وَأَلْقَى فِي النَّارِ بَعْضَ الْبُحُورِ. ظَلَّ قَمُهُ، بِصَوْتِ خَافِتٍ، يُعْمِغُ أَلْفَاظًا، لَا يَتَّبِعُ مَعْنَاهَا. انْشَقَّتْ أَمَامَهُ الْأَرْضُ، وَظَهَرَتْ، فِي الْحَالِ، ثَغْرَةٌ صَغِيرَةٌ.

الْفَتَى لَمْ يَتَرَدَّدْ فِي النُّزُولِ، وَهُوَ مُمْتَلِئٌ جُرْأَةً وَحِمَاسَةً. الْفَتَى وَجَدَ نَفْسَهُ فِي أُولَى حُجْرَاتِ الْكُنْزِ، تَحْتَ الْأَرْضِ. بَهَرَتْ عَيْنَيْهِ الْأَضْوَاءُ السَّاطِعَةُ، مِنْ لَائِلِ الْكُنْزِ وَدَرَرِهِ. لَمْ يَرِ فِي حَيَاتِهِ يَوْمًا مَا رَأَهُ السَّاعَةَ، مِنْ هَذِهِ الْكُنُوزِ!

نَسِيَ الْبَحْثَ عَنِ «الشَّمْعَدَانِ الْحَدِيدِيِّ». قَالَ فِي نَفْسِهِ: «كَيْفَ أَرَى كُلَّ هَذِهِ الْجَوَاهِرِ أَمَامَ عَيْنَيْ، وَأَتْرُكُهَا؟!» الْفَتَى «رِضْوَانُ» مَلَأَ جُيُوبَهُ بِمَا جَمَعَهُ مِنْ نَفَائِسِ الْكُنْزِ. فَجَاءَ ظَهَرَتْ تَجَاهَ نَاضِرِهِ صُورَةٌ حَارِسِ الْكُنْزِ الْعِمْلَاقِ! الْحَارِسُ الْعِمْلَاقُ بَرَقَتْ عَيْنَاهُ، مِثْلَ الشَّرْرِ، وَتَمَّتْ بِقَوْلِهِ: «الْوَيْلُ أَشَدُّ الْوَيْلِ لِمَنْ أَخْلَفَ الْوَعْدَ، وَخَانَ الْعَهْدَ!» انْطَبَقَتْ الثَّغْرَةُ الْمَفْتُوحَةُ، وَانْتَشَرَ فِي أَرْجَاءِ الْمَكَانِ ظَلَامٌ.

(٩) سِرُّ «الشَّمْعَدَانِ»

الْفَتَى «رِضْوَانُ» أَذْرَكَ، عَلَى الْفُورِ، حَطَأَهُ، وَعَرَفَ دَنْبَهُ. امْتَلَأَ قَلْبُهُ إِحْسَاسًا بِالْأَلَمِ، وَاشْتَدَّ شَعُورُهُ بِغَايَةِ النَّدَمِ. فَكَّرَ: مَاذَا يَصْنَعُ لِلْخَلَاصِ مِنْ هَذَا الْمَازِقِ الْحَرِجِ؟ تَذَكَّرَ أَنَّ الشَّيْخَ طَلَبَ مِنْهُ إِحْضَارَ «الشَّمْعَدَانِ الْحَدِيدِيِّ».

الشَّمْعَدَانُ الْحَدِيدِيُّ

قال: «لَعَلِّي إِذَا ظَفَرْتُ الْآنَ بِهَذَا الشَّمْعَدَانِ نِلْتُ الْأَمَانَ.»
الْفَتَى جَعَلَ يَتَحَسَّسُ طَرِيقَهُ، وَهُوَ يَخْطُو خُطُواتٍ بَطِيبَةً. صادَفَتْ أَصابعُهُ عَصَا
مُسْنَدَةً إِلى أَحَدِ الْجُدْرانِ الْقَرِيبَةِ. أَمَسَكَ بِطَرَفِ الْعَصَا، وَحَرَّصَ عَلى أَنْ يَتَلَمَّسَ بِها
الطَّرِيقَ. الْعَصَا مَسَّتِ «الشَّمْعَدانَ»، عَلى غَيرِ قَصدٍ، فانبَعَثَ مِنْهُ رَينٌ!
الْفَتَى وَجَدَ الثَّغْرَةَ تَنفَتِحُ ثائِيَةً بَعْدَ انطِباقِها، فَبَدَخَلَ الضَّوْءَ. رَأى «الشَّمْعَدانَ
الْحَدِيدِيَّ»، تَحْتَ الضَّوْءِ، كَما وَصَفَهُ لَهُ الشَّيْخُ. اطْمَأَنَّتْ نَفْسُهُ، حِينَ رَأاهُ، بِأَنَّهُ حَقَّقَ
لِلشَّيْخِ ما طَلَبَهُ مِنْهُ. هَمَّ بِأَنْ يَحْمِلَ «الشَّمْعَدانَ»، وَيَتَسَلَّقَ الْأَحْجارَ إِلى الثَّغْرَةِ. سَمِعَ عَلى
الْفُورِ صَوْتَ حارِسِ الْكَنْزِ الْعِمْلَاقِ، يَقولُ لَهُ: «لَوْلا الشَّمْعَدانُ لَهَلَكَ الطَّامِعُ الْجَبانُ، فِي
هَذَا الْمَكانِ!»

(١٠) عَوْدَةُ «رِضوانٍ»

حَرَجَ الْفَتَى «رِضوانُ» إِلى الطَّرِيقِ، وَهُوَ لا يُصدِّقُ أَنَّهُ نَجَا! كانَ أَوَّلَ شَئٍ يَهْمُهُ حِينَ حَرَجَ
أَنْ يَلْتَقِيَ بِالشَّيْخِ «أَبِي النُّضْرِ». سَيَقْدُمُ إِلى الشَّيْخِ ذَلِكِ «الشَّمْعَدانَ الْحَدِيدِيَّ»، تَحْقِيقًا
لِرَغْبَتِهِ. سَيَحْتَفِظُ لِنَفْسِهِ هُوَ بِاللَّكَلِيِّ وَالْجَواهِرِ الَّتِي حَصَلَ عَلَيْها.
طالَ بِهِ السَّيرُ، وَلِكنَّهُ فِي طَرِيقِهِ لَمْ يَعْثُرْ لِلشَّيْخِ عَلى أَثَرٍ. فَكَرَّ فِي أَنْ يَتَرَكَ «الشَّمْعَدانَ»
عَلى جانِبِ الطَّرِيقِ، وَيَمْضِي؛ إِنَّهُ يَعوُقُهُ، وَهُوَ يَحْمِلُهُ بَينَ يَدَيْهِ، يَنْقُلُهُ مِنْ يَدٍ إِلى يَدٍ. هَلْ
يُفَرِّطُ فِي «الشَّمْعَدانِ الْحَدِيدِيَّ»، بَعْدَ أَنْ صارَ مَعَهُ؟
حَسْبِيَ أَنْ يَلْقاهُ الشَّيْخُ، وَهُوَ ماضٍ فِي طَرِيقِهِ، فَيَسأَلُهُ عَنْهُ. لا شَكَّ فِي أَنَّهُ سَيَلُومُهُ عَلى
أَنَّهُ أَضاعَهُ، بَعْدَ أَنْ ظَفَرَ بِهِ. اسْتَقَرَّ رَأْيُهُ أَخيراً عَلى أَنْ يَسْتَبْقِيَهُ، لِيُعْطِيَهُ إِياهُ، مَتى رَأاهُ.
بَينَما هُوَ يَسيرُ وَجَدَ الْعَصَا قَدْ مَسَّتِ «الشَّمْعَدانَ الْحَدِيدِيَّ». الْفَتَى سَمِعَ رَنَّهُ
«الشَّمْعَدانَ»، حِينَ مَسَّتهُ الْعَصَا دُونَ قَصدٍ.
رَفَعَ بَصَرَهُ، فَالْفَى نَفْسَهُ عَلى مَشارِفِ مَدِينَةِ «البُصْرَةِ». أَسْرَعَ الخُطَا إِلى المَدِينَةِ،
مَسْرُورَ النَّفْسِ، حَتَّى وَصَلَ إِلى بَيتِهِ.

(١١) نَفَائِسُ الْكَنْزِ

فَرِحْتُ «سَلْمَى» أَيَّمَا فَرَحٍ، بِإِلْقَاءِ وَلَدِهَا الْغَائِبِ عَنْهَا «رِضْوَانَ». قَصَّ عَلَى أُمِّهِ كُلَّ مَا جَرَى لَهُ، حِينَ نَزَلَ مِنَ النَّعْرَةِ إِلَى الْكَنْزِ. سَأَلَتْهُ عَنْ أَنْبَاءِ الشَّيْخِ «أَبِي النَّضْرِ»، فَأَنْبَأَهَا بِأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ لَهُ ظِلًّا.

أَرَاهَا نَفَائِسُ الْكَنْزِ الَّتِي اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْمِلَهَا مَعَهُ فِي خُرُوجِهِ. الْأُمُّ «سَلْمَى» أُعْجِبَتْ بِالْجَوَاهِرِ وَاللَّالِيَّ، لِكِنِّهَا قَالَتْ لَوْلَدِهَا: «الشَّيْخُ «أَبُو النَّضْرِ» طَلَبَ مِنْكَ إِحْضَارَ «الشَّمْعَدَانِ الْحَدِيدِيِّ». لَمْ يَأْذَنْ لَكَ، كَمَا قُلْتَ لِي، أَنْ تَأْخُذَ مِنَ الْكَنْزِ شَيْئًا آخَرَ. لَوْلَا حُصُولُكَ عَلَى «الشَّمْعَدَانِ» لَمَا خَرَجْتَ مِنَ الْكَنْزِ سَالِمًا مُعَافًى! الشَّيْخُ أَرَادَ أَنْ يَمْتَحِنَ شَجَاعَتَكَ، وَيَحْتَبِرَ طَاعَتَكَ وَأَمَانَتَكَ.»

الْفَتَى أَحَدٌ يُقَلِّبُ الْجَوَاهِرَ وَاللَّالِيَّ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيَقُولُ: «لَسْتُ أَدْرِي مَا شَأْنُ الشَّيْخِ «أَبِي النَّضْرِ» بِهَذِهِ النِّفَائِسِ؟! إِنَّهَا جَمِيعًا مِلْكٌ لِي وَحْدِي، لَا يُنَازِعُنِي فِيهَا شَرِيكٌ. هِيَ هَاتِهَا أَنْ يَظْفَرَ بِشَيْءٍ مِنْهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ غَيْرِي!»

أَدْرَكَتْ «سَلْمَى» أَنَّ ابْنَهَا طَامِعٌ فِيمَا حَصَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: «عَلَيْكَ أَنْ تَحْتَفِظَ لِلشَّيْخِ بِكُلِّ شَيْءٍ مَعَكَ، حَتَّى يَعُودَ إِلَيْكَ!»

(١٢) آخِرَةُ الطَّمَعِ

الْفَتَى «رِضْوَانُ» جَمَعَ اللَّالِيَّ وَالْجَوَاهِرَ الَّتِي حَمَلَهَا، فِي صُرَّةٍ. وَضَعَ صُرَّةَ اللَّالِيَّ وَالْجَوَاهِرِ بِجِوَارِ «الشَّمْعَدَانِ الْحَدِيدِيِّ». عَزَمَ عَلَى أَنْ يَعْتَبِرَ نَفْسَهُ مَالِكًا لِهَذِهِ النِّفَائِسِ، لَيْسَ لَهُ مُنَازِعٌ. اطمأنَّتْ نَفْسُهُ بِأَنَّهُ أَصْبَحَ صَاحِبَ ثَرْوَةٍ عَظِيمَةٍ، لَا تَتَوَافَرُ لِغَيْرِهِ.

قَالَ فِي نَفْسِهِ: «سَأَحْتَفِظُ لِلشَّيْخِ بِهَذَا «الشَّمْعَدَانِ الْحَدِيدِيِّ». لَقَدْ أَحْضَرْتُهُ لَهُ مَعِي، كَمَا أَوْصَانِي بِذَلِكَ، قَبْلَ نَزُولِي إِلَى الْكَنْزِ. لَا شَأْنَ لَهُ بِغَيْرِ «الشَّمْعَدَانِ الْحَدِيدِيِّ» الَّذِي طَلَبَ مِنِّي إِحْضَارَهُ.»

مَا بَيْنَ غَمُضَةِ عَيْنٍ وَانْتِبَاهَتِهَا حَدَثَ أَمْرٌ عَجَبٌ، لَا يَخْطُرُ بِالْبَالِ: اخْتَفَتِ الصُّرَّةُ بِمَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَعُدْ لَهَا مِنْ أَثَرٍ! خِيَلُ لِلْفَتَى — وَقَتْنِيذٍ — أَنَّهُ كَانَ فِي حُلْمٍ، وَأَفَاقَ مِنْهُ!

الشَّمْعَدَانُ الْحَدِيدِيُّ

أَدْرَكَ أَنَّهُ أَرَادَ الْأَسْتِيلَاءَ عَلَى شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ حَقِّهِ! عَرَفَ غَلَطَتَهُ الْجَسِيمَةَ، حِينَ طَمَعَ فِي نَفَائِسِ الْكَنْزِ.

قَالَ فِي نَفْسِهِ: «لَمْ يَبْقَ إِلَّا «الشَّمْعَدَانُ الْحَدِيدِيُّ» وَعَصَاهُ. سَأَحْتَفِظُ بِهِمَا لِلشَّيْخِ «أَبِي النَّضْرِ» حَتَّى يَعُودَ، بَعْدَ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ. يَكْفِينِي عِبْرَةً أَنِّي عَرَفْتُ آخِرَةَ الطَّمَعِ فِيمَا لَيْسَ مِلْكَ لِي.»

(١٣) دَرَاوِيْشُ «الشَّمْعَدَانِ»

الْفَتَى «رِضْوَانُ» فَكَّرَ فِي اسْتِخْدَامِ «الشَّمْعَدَانِ الْحَدِيدِيِّ». حَمَلَهُ مِنْ مَكَانِهِ، وَوَضَعَهُ عَلَى مَنْضَدَةٍ وَسَطَ الْحُجْرَةِ فِي الْبَيْتِ. لَمَّا أَسَدَلَ اللَّيْلُ أَسْتَارَهُ أَضَاءَ إِحْدَى الشَّمْعَاتِ الَّتِي فِيهِ. كَانَ «الشَّمْعَدَانُ الْحَدِيدِيُّ» يَحْتَوِي عَلَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ شَمْعَةً. لَمَّا أُضِيَّتْ مِنْهَا شَمْعَةٌ ظَهَرَ فِي ضَوْئِهَا مَنْظَرٌ مُثِيرٌ: شَبَحَ دَرَاوِيْشُ مِنْ طَوَائِفِ الدَّرَاوِيْشِ الْمُتَفَرِّغِينَ لِلْعِبَادَةِ. الدَّرَاوِيْشُ لَاحَ شَخْصُهُ فِي ضَوْءِ الشَّمْعَةِ، وَأَسْقَطَ دِينَارًا.

الْفَتَى دَهَشَ لَمَّا رَأَى الدِّينَارَ يَسْقُطُ عَلَى الْأَرْضِ، أَمَامَ عَيْنَيْهِ. خَطَرَ بِبَالِهِ أَنْ يُضِيءَ شَمْعَةً ثَانِيَةً مِنَ الشَّمْعَاتِ الْإِثْنَتَيْ عَشْرَةَ. ظَهَرَ شَبَحُ دَرَاوِيْشِ آخَرَ، شَبِيهِ بِالْأَوَّلِ، وَأَسْقَطَ دِينَارًا آخَرَ. الْفَتَى أَضَاءَ تِلْكَ الشَّمْعَاتِ الْعَشْرَ الْبَاقِيَةَ، شَمْعَةً بَعْدَ شَمْعَةٍ.

الدَّنَانِيرُ الَّتِي سَقَطَتْ عَلَى الْأَرْضِ أَمَامَهُ بَلَغَتْ اثْنَيْ عَشَرَ دِينَارًا. الْفَتَى ابْتَهَجَ بِهَذَا الْمَالِ الَّذِي حَصَلَ عَلَيْهِ دُونَ أَنْ يَتَوَقَّعَهُ!
الْفَتَى كَانَ يُضِيءُ الشَّمْعَاتِ كُلَّ لَيْلَةٍ، فَتَسْقُطُ أَمَامَهُ الدَّنَانِيرُ! عَرَفَ أَنَّ أَشْبَاحَ الدَّرَاوِيْشِ تَظْهَرُ مَرَّةً وَاحِدَةً كُلَّ لَيْلَةٍ.

(١٤) نَصِيحَةٌ «سَلْمَى»

الْفَتَى «رِضْوَانُ» اجْتَمَعَ لَدَيْهِ، عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ، جُمْلَةُ دَنَانِيرٍ. فِي كُلِّ لَيْلَةٍ يُضِيءُ «الشَّمْعَدَانُ الْحَدِيدِيُّ»، فَتَزْدَادُ نَرْوَتُهُ.

قَالَتْ أُمُّهُ «سَلْمَى»: «هَذِهِ الدَّنَانِيرُ تَزِيدُ عَنْ حَاجَتِنَا إِلَى الْإِنْفَاقِ. أَتُرِيدُ أَنْ تَجْمَعَ فِي حَوْرَتِكَ كَنْزًا مِنَ النُّقُودِ يَا «رِضْوَانُ»? مَا فَائِدَةُ الْمَالِ الْمَكْنُونِ، فِي صُنَادِيْقٍ مُقْفَلَةٍ، دَاخِلَ

الْبَيْتِ؟! لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَكَ عَمَلٌ بِهَذَا الْمَالِ الَّذِي تَحْصُلُ عَلَيْهِ. اسْتَنْمِرْ هَذَا الْمَالَ يَا بُنَيَّ لِتَنْتَفِعَ بِهِ، وَتَنْفَعِ النَّاسَ.»

الْفَتَى قَالَ: «لِمَاذَا نَعْمَلُ، يَا أُمِّي، وَ«الشَّمْعَدَانُ» مَعَنَا؟ إِنَّهُ يُعْطِينَا مِنَ الدَّنَائِرِ، كُلَّ لَيْلَةٍ، مَا يَكْفِينَا أُسْبُوعًا!»

أُمُّهُ قَالَتْ: «حَقًّا لَمْ يَحْضُرِ الشَّيْخُ «أَبُو النَّضْرِ» بَعْدُ. لَكِنَّهُ سَيَحْضُرُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، بَعْدَ زَمَنٍ قَصِيرٍ أَوْ طَوِيلٍ. سَيَأْخُذُ «الشَّمْعَدَانُ الْحَدِيدِيُّ» الَّذِي طَلَبَهُ مِنْكَ، وَهُوَ حَقٌّ لَهُ! هَلْ نَعِيشُ بَقِيَّةَ حَيَاتِنَا بِمَا ادَّخَرْتَ مِنَ الدَّنَائِرِ الْمَكْنُوزَةِ؟ إِنَّا سَنَأْخُذُ مِنْهَا مَا نَسُدُّ بِهِ حَاجَتَنَا، فِي مَعِيشَتِنَا، طُولَ عُمْرِنَا. الْمَالُ الْمُدَّخَرُ، مَهْمَا كَثُرَ، يَنْقُصُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، حَتَّى يَنْفَدَ.»

(١٥) «رِضْوَانُ» التَّاجِرُ

الْفَتَى «رِضْوَانُ» فَكَّرَ وَقَفَّتَا فِيمَا قَالَتْهُ لَهُ أُمُّهُ «سَلْمَى». رَأَى أَنَّهَا عَلَى صَوَابٍ فِي كُلِّ مَا أَشَارَتْ إِلَيْهِ، وَنَصَحَتْ بِهِ.

قَالَ فِي نَفْسِهِ: «الشَّمْعَدَانُ الْحَدِيدِيُّ لَيْسَ مِلْكِي حَقًّا. أَنَا لَا أَطْمَعُ فِيهِ، وَلَا أُضْمِرُ الْاسْتِيلَاءَ عَلَيْهِ، بِأَيِّ حَالٍ. مَتَى حَضَرَ عِنْدَنَا الشَّيْخُ «أَبُو النَّضْرِ» أَعْطَيْتَهُ لَهُ، بِلا نِزَاعٍ. لَقَدْ أَمَنْتُ بِأَنَّ الطَّمَعَ لَا يُفِيدُ صَاحِبَهُ شَيْئًا، فِي حَيَاتِهِ.»

الْفَتَى عَزَمَ عَلَى أَنْ يَشْتَغَلَ بِمَزَاوِلَةِ التَّجَارَةِ فِي الْأَسْوَاقِ. إِنَّ مَعَهُ كَثِيرًا مِنَ الْمَالِ يُسَاعِدُهُ عَلَى التَّوَسُّعِ فِي التَّجَارَةِ.

عَاهَدَ نَفْسَهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ دَائِمًا صَاحِبَ زِمَّةٍ وَأَمَانَةٍ: كَلِمَتُهُ وَاحِدَةٌ، وَبِضَاعَتُهُ الْمَعْرُوضَةُ مَأْمُونَةٌ، لَا غِشٌّ فِيهَا وَلَا خِدَاعٌ. لِذَلِكَ أَصْبَحَ تَاجِرًا كَبِيرًا، حَسَنَ السَّمْعَةِ، بَيْنَ التُّجَّارِ. كَانَ لَا يَتَّجِرُ فِي شَيْءٍ إِلَّا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُ أَعْظَمَ رِبْحٍ.

«رِضْوَانُ» لَمْ يَكْتَفِ بِأَنْ يَكُونَ كَرِيمًا فِي مُعَامَلَةِ النَّاسِ. كَانَ يَسْخُو بِمَالِهِ، لِكَيْ يُسَاعِدَ كُلَّ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْمُسَاعَدَةَ. اشْتَرَكَ بِمِقْدَارٍ كَبِيرٍ مِنْ مَالِهِ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ.

(١٦) اخْتِفَاءُ الدَّرَاوِيشِ

«رِضْوَانُ» كَانَ يَعُودُ مِنْ عَمَلِهِ إِلَى بَيْتِهِ عِنْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ. مَتَى رَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ تَنَاوَلَ عِشَاءَهُ، وَقَصَدَ إِلَى فِرَاشِهِ لِيَنَامَ. لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ وَقْتُ يَسْتَمْتِعُ فِيهِ بِإِضَاءَةِ «الشَّمْعَدَانِ». لَمْ يَكُنْ أَيْضًا، لِكثْرَةِ أَرْبَاحِهِ، فِي حَاجَةٍ إِلَى دَنَانِيرِ الدَّرَاوِيشِ.

مَضَتْ شُهُورٌ، وَهُوَ مُنْهَمَكٌ فِي تِجَارَتِهِ الْوَاسِعَةِ، لَيْلَ نَهَارٍ. ذَاتَ لَيْلَةٍ رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ، عَلَى غَيْرِ عَادَتِهِ، بَعْدَ الْعِشَاءِ بِقَلِيلٍ. مَرَّ عَلَى بَالِهِ «الشَّمْعَدَانُ الْحَدِيدِيُّ» بِشَمْعَاتِهِ الْاِثْنَتَيْنِ عَشْرَةَ.

قَالَ فِي نَفْسِهِ: «الْعَمَلُ الْمُتَوَاصِلُ أَنْسَانِي الشَّمْعَدَانِ وَدَرَاوِيشَهُ!»

أَحْضَرَهُ، وَجَلَسَ أَمَامَهُ يَتَأَمَّلُ فِيهِ، وَأَضَاءَ إِحْدَى شَمْعَاتِهِ. أَدْهَشَهُ أَنْ الشَّمْعَةَ أَضِيئَتْ، لَكِنَّ دَرُوِيشَهَا لَمْ يَظْهَرْ! أَضَاءَ الشَّمْعَةَ الثَّانِيَةَ، فَكَانَتْ مِثْلَ الشَّمْعَةِ الْأُولَى، لَمْ تُضَيَّ! أَضَاءَ بَقِيَّةَ الشَّمْعَاتِ، فَلَمْ يَظْهَرْ مِنْهَا أَى دَرُوِيشٍ أَمَامَ عَيْنَيْهِ! ذَهَبَ إِلَى أُمِّهِ «سَلْمَى» يُخْبِرُهَا بِمَا فَعَلَ، وَيَشْكُو لَهَا مَا حَيَّرَهُ.

«سَلْمَى» قَالَتْ لِابْنِهَا: «الدَّرَاوِيشُ، لَا شَكَّ، لَيْسُوا رَاضِينَ عَنْكَ. أَنْتَ لَمْ تَرُدَّ «الشَّمْعَدَانُ الْحَدِيدِيُّ» يَا بُنَيَّ إِلَى صَاحِبِهِ!»

(١٧) الْبَحْثُ عَنِ «أَبِي النَّضْرِ»

التَّاجِرُ «رِضْوَانُ» امْتَلَأَتْ نَفْسُهُ شُغُورًا بِالنَّدَمِ عَلَى تَقْصِيرِهِ. لَقَدْ أَلْهَتْهُ التَّجَارَةُ عَنِ الْبَحْثِ عَنِ الشَّيْخِ «أَبِي النَّضْرِ». ضَمِيرُهُ أَنْبَهُ عَلَى أَنَّهُ أَهْمَلٌ، فِي أَيَّامِهِ الْمَاضِيَةِ، هَذَا الْأَمْرَ. إِنَّ الشَّيْخَ «أَبَا النَّضْرِ» هُوَ الَّذِي عَلَّمَهُ وَرَبَّاهُ، وَعَرَفَهُ الْحَيَاةَ. إِنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ سَبَبَ النُّعْمَةِ الَّتِي يَمْرُحُ فِيهَا، بِفَضْلِ اللَّهِ.

لِمَاذَا اخْتَفَى أُولَئِكَ الدَّرَاوِيشُ مِنَ «الشَّمْعَدَانِ الْحَدِيدِيِّ»؟ لَا بُدَّ أَنَّ الشَّيْخَ «أَبَا النَّضْرِ» غَضَبَانُ عَلَى «رِضْوَانٍ».

أَحَذَ «رِضْوَانُ» عَهْدًا عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يُوَاصِلَ الْبَحْثَ عَنِ الشَّيْخِ. كَانَ يَذْكُرُ اسْمَ الشَّيْخِ وَصِفَتَهُ لِلتَّجَارِ الرَّحْلِ، حِينَ يَمْرُونَ بِهِ. يَطْلُبُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدُلَّهُ عَلَى مَكَانِهِ الْمَقِيمِ فِيهِ.

الشَّمْعَدَانُ الْحَدِيدِيُّ

قَرَّرَ أَنْ يَهَبَ مُكَافَأَةً عَظِيمَةً لِمَنْ يَدُلُّهُ عَلَيْهِ، حَيْثُ يَجِدُهُ. عَزَمَ عَلَى أَنْ يُسَافِرَ إِلَيْهِ، فِي أَيِّ مَكَانٍ، قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ.
«رِضْوَانُ» ذَهَبَ، صَبَاحَ يَوْمٍ، لِيَفْتَحَ مَحَلَّ تِجَارَتِهِ، كَعَادَتِهِ. وَجَدَ، بِبَابِ الْمَحَلِّ، أَحَدَ التُّجَّارِ الرَّحَالِيِّينَ وَإِقْفًا يَنْتَظِرُهُ. الرَّحَالُ أَخْبَرَهُ بِأَنَّ «أَبَا النَّضْرِ» مُقِيمٌ بِمَدِينَةِ «الرُّهُورِ».

(١٨) رُدُّ الْأَمَانَةِ

«رِضْوَانُ» رَجَعَ مِنْ فَوْرِهِ إِلَى الْبَيْتِ، وَاسْتَأْذَنَ أُمَّهُ فِي السَّفَرِ. حَمَلَ مَعَهُ «الشَّمْعَدَانُ الْحَدِيدِيُّ»، وَبَعْضَ الْهَدَايَا الْغَالِيَةِ. لَمْ تَكْفِ قَدَمَاهُ عَنِ السَّيْرِ، حَتَّى بَلَغَ مَدِينَةَ «الرُّهُورِ». لَمْ يَهْدَأْ لَهُ بَالٌ حَتَّى دَخَلَ بَيْتَ الشَّيْخِ «أَبِي النَّضْرِ».
اسْتَقْبَلَهُ الشَّيْخُ فِي حَدِيقَتِهِ، وَهُوَ مُتَهَلِّلُ الْوَجْهِ، بِاسْمِ النَّعْرِ. تَلَقَّى مِنْ «رِضْوَانِ» «الشَّمْعَدَانِ الْحَدِيدِيِّ»، فِي فَرَحٍ وَابْتِهَاجٍ. أَضَاءَ الشَّمْعَاتِ الْاِثْنَتَيْ عَشْرَةَ، فَظَهَرَتْ أَشْبَاحُ الدَّرَاوِيشِ! سَمِعَ مِنْ «رِضْوَانِ» كُلَّ مَا حَدَّثَ مِنْهُ، وَمَا جَرَى لَهُ.
الشَّيْخُ «أَبُو النَّضْرِ» قَالَ: «سَامَحَكَ اللهُ يَا ابْنَ أَخِي. الْآنَ عَرَفْتَ: كَيْفَ تَكُونُ عَاقِبَةُ الطَّمَعِ فِيمَا لَيْسَ لَكَ بِحَقِّ؟! كَمَا أَنَّكَ ذُقْتَ حَلَاوَةَ أَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَفَضَلَ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ! لَقَدْ أَمَنْتَ بِأَنَّ الْعَمَلَ وَالْاجْتِهَادَ وَالْاِسْتِقَامَةَ كَنْزٌ لَا يَفْنَى! شُكْرًا لِلأَمِّ الْعَطُوفِ «سَلْمَى» عَلَى أَنَّهَا هَدَتْكَ وَأَرْشَدَتْكَ.»
«رِضْوَانُ» عَادَ إِلَى بَيْتِهِ بَعْدَ أَنْ وَدَّعَ الشَّيْخَ «أَبَا النَّضْرِ»، لَقِيَّتْهُ أُمُّهُ عَقَبَ عَوْدَتِهِ رَاضِيَةً عَنْهُ، دَاعِيَةً بِالْخَيْرِ لَهُ.